فقهُ صنائعِ المعروفِ

الهدف المراد توصيله إلى جمهور المسجد:

بَيانُ أثرِ صنائعِ المعروفِ في تعزيزِ التكافلِ والتماسكِ المجتمعيِّ، ودورِها في مواجهةِ الأزماتِ وتجاوزِ آثارِها.

العناصر:

١. دَوْرُ صنائعِ المعروفِ في تعزيزِ التكافلِ والتماسكِ المجتمعيِّ، وحمايةِ استقرارِ الوطنِ ومواجهةِ الأزماتِ.
٢. صُوَرُ صنائعِ المعروفِ وأثرُها في نشرِ الرحمةِ والتكافلِ وحمايةِ الوطنِ.
٣. دَوْرُ التكافلِ المجتمعيِّ في تعزيزِ الأمنِ النفسيِّ والاجتماعيِّ ومواجهةِ الأزماتِ.
٤. مخاطرُ البخلِ والأنانيةِ وغيابِ التكافلِ على تماسكِ المجتمعِ واستقرارِه.
٥. أهميةُ التراحمِ في صيانةِ مقدراتِ المجتمعِ وحفظِ تماسكِهِ واستدامةِ نِعَمِهِ.
٦. صنائعُ المعروفِ منهجُ حياةٍ، وتجلياتُ التكافلِ الوطنيِّ في مواجهةِ الشدائدِ والأزماتِ.

الأدلة من القرآن الكريم:

١. قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].
٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧-٢٠].
٣. قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

الأدلة من السنة النبوية:

١. حديث: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ».
٢. حديث: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».
٣. حديث: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا».
٤. حديث: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ».
٥. حديث: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

فقهُ صنائعِ المعروفِ

الحمدُ للهِ الذي حثَّنا على البرِّ والصِّلاتِ، وجعلَ صنائعَ المعروفِ بابًا لجمعِ الكلمةِ واستقرارِ المجتمعاتِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، فاطرُ الأرضِ والسماواتِ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، صاحبُ الخُلُقِ العظيمِ والمعجزاتِ، كانَ أسبقَ الناسِ إلى الخيراتِ وأَرْأَفَهم بالعبادِ في كلِّ الحالاتِ، صلى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، أما بعدُ، فيا عبادَ اللهِ:

١- حافظوا على أوطانِكم بالبذلِ والعطاءِ وصناعةِ المعروفِ: فآثارُ صنائعِ المعروفِ لا تقفُ عندَ حدودِ المنتفعِ، بل تمتدُّ لتشملَ المجتمعَ كلَّهُ، فهي توثِّقُ روابطَهُ، وتنشرُ الثقةَ بينَ أفرادِهِ، وتبثُّ فيهم روحَ التعاونِ والمسؤوليةِ، فحينَ يجدُ الضعيفُ مَنْ يعينُهُ، والمحتاجُ مَنْ يسدُّ حاجتَهُ، والمصابُ مَنْ يواسيهِ، يشعرُ أنَّ المجتمعَ ليسَ أفرادًا متجاورينَ، بل أسرةً متراحمةً تتبادلُ الحقوقَ وتتقاسمُ المسؤولياتِ، وهوَ ما يتفقُ مع هدي القرآنِ الكريمِ الذي قررَ مبدأَ مقابلةِ الإحسانِ بالإحسانِ، مصداقًا لقولِهِ سبحانه وتعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وفي بيانِ أثرِ المواساةِ في صلاحِ المجتمعِ يقولُ الماورديُّ رحمهُ اللهُ: «فَيَقِلُّ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ، وَيَنْتَفِي عَنْهُمْ تَبَاغُضُ الْعَدَمِ، وَتَتَّسِعُ النُّفُوسُ فِي التَّوَسُّعِ، وَتَكْثُرُ الْمُوَاسَاةُ وَالتَّوَاصُلُ، وَذَلِكُمْ مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي لِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَانْتِظَامِ أَحْوَالِهَا».

٢- أيها الكريمُ، احرصْ على نشرِ فضائلِ الخيرِ وبذلِ المعروفِ: فإنَّ العطاءَ المثمرَ هو السياجُ المتينُ الذي يحفظُ كيانَ الوطنِ ويوطِّدُ أركانَهُ، ومما لا شكَّ فيهِ أنَّ السعيَ في نفعِ الناسِ وتفريجَ كرباتِهم يورثُ في قلبِكَ طمأنينةً لا تُعدَلُ، ويغرسُ في وجدانِكَ معاني الألفةِ والترابطِ التي تذيبُ حواجزَ الجفاءِ والفرقةِ، فمن صورِ ذلكَ وأبوابِهِ المتسعةِ: إطعامُ الجائعِ، وكفالةُ اليتيمِ، وإعانةُ الضعيفِ والمحتاجِ، وإغاثةُ الملهوفِ والمكروبِ، وإفشاءُ السلامِ، وإرشادُ الضالِّ، وهدايةُ الحائرِ، وتفريجُ كرباتِ المكروبينَ وتنفيسُ همومِ المهمومينَ بقضاءِ ديونِهم أو مساعدتِهم على قضاءِ حوائجِهم، فضلًا عن الكلمةِ الطيبةِ التي تبرئُ الجراحَ وتؤلفُ القلوبَ، وحينَ تبادرُ بواحدةٍ من هذهِ الأعمالِ النبيلةِ، فإنَّكَ تفتحُ لنفسِكَ أبوابًا من الرحمةِ الإلهيةِ، فاجعلْ معروفَكَ خالصًا لوجهِ اللهِ، متجردًا عن المنِّ والأذى،

لترقى بنفسِكَ إلى مراتبِ الأبرارِ، وتفوزَ برضوانِ الكريمِ، تصديقًا لقولِ النبيِّ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ».

٣- واعلمْ أنَّ إشاعةَ المعروفِ وتحقيقَ التكافلِ هما الحصنُ الحصينُ للأمنِ النفسيِّ والاجتماعيِّ: إذ تشعرُ بالطمأنينةِ حينَ تعلمُ أنَّ حاجاتِكَ لن تُهملَ، وأنَّكَ لن تُتركَ فريدًا في أوقاتِ الشدائدِ والمحنِ، وهذا الشعورُ هو الذي يعزِّزُ انتماءَكَ، ويحدُّ مِنْ مشاعرِ عزلتِكَ، ويقوِّي ثقتَكَ بمن حولَكَ، ويجعلُ الوطنَ أقوى قدرةً على مواجهةِ الأزماتِ، فالمجتمعُ الذي يتعوَّدُ أفرادُهُ على التعاونِ في الأحوالِ العاديةِ يكونُ أقدرَ على التكاتفِ عندَ النازلاتِ، ممَّا يدفعُ أسبابَ التفككِ، ويقضي على دوافعِ الحقدِ والحسدِ، وتحلُّ محلَّها المودةُ والتراحمُ، ليكونَ الإحسانُ عاملًا أساسيًّا للاستقرارِ والوئامِ، وحينَ ينتشرُ هذا المناخُ التكافليُّ، ترتفعُ معنوياتُ الأفرادِ وتتراجعُ معدلاتُ القلقِ والاضطرابِ النفسيِّ الناتجةِ عن الشعورِ بالعجزِ أو الوحدةِ ليغدو المجتمعُ واحةً من الأمنِ والتكافلِ، يتكفلُ قويُّها بضعيفِها، ويغمرُ غنيُّها فقيرَها بالرفقِ والعنايةِ، تصديقًا لقولِهِ ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

٤- واحذرْ أنْ تكونَ غافلًا عن عاقبةِ البخلِ والامتناعِ عن تقديمِ المعروفِ: فإنَّ غيابَ التكافلِ وتفشِّي الأنانيةِ واللامبالاةِ من أعظمِ ما يهدِّدُ تماسكَ المجتمعاتِ، حيثُ تتحولُ العلاقاتُ الإنسانيةُ إلى منافعَ ضيقةٍ، ويغدو المرءُ منشغلًا بمكاسبِهِ غيرَ آبهٍ بآلامِ غيرِهِ، وقد قصَّ اللهُ علينا خبرَ أصحابِ الجنةِ الذينَ أقسموا أنْ يستأثروا بثمارِهم ويحرموا المساكينَ، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧-٢٠]، وتؤكدُ سننُ اللهِ في خلقِهِ أنَّ المجتمعاتِ التي تستسلمُ للفرديةِ المطلقةِ وتتخلَّى عن مسؤوليتِها الأخلاقيةِ والإنسانيةِ، مآلُها الضعفُ والانهيارُ؛ إذ لا تقومُ المجتمعاتُ ولا تستقرُّ إلا بالتراحمِ والتكافلِ، وصيانةِ الحقوقِ، ومساندةِ القادرِ للعاجزِ، وأداءِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ، وفي التحذيرِ من الشُّحِّ يقولُ النبيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا».

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على دوامِ النعمِ، ونعوذُ بهِ سبحانهُ من شرِّ النقمِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، أما بعدُ، فيا عبادَ اللهِ:

٥- حافظوا على مقدراتِ مجتمعِكم بالتراحمِ والبذلِ، واحذروا من نزعِ الرحمةِ من القلوبِ؛ فالمعروفُ حياةٌ للقلوبِ قبلَ أنْ يكونَ عونًا للأبدانِ، ووقايةٌ للمجتمعِ من القسوةِ والتفككِ قبلَ أنْ يكونَ تبرعًا عابرًا، وقد حذَّرَنا النبيُّ ﷺ من ذلكَ بقولِهِ الشريفِ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»، فصيانةُ المجتمعاتِ واستدامةُ نعمِها مرتبطةٌ أشدَّ الارتباطِ بمدى رسوخِ فضيلةِ التراحمِ في وجدانِ أبنائِها، وحينَ تنعدمُ الرحمةُ تتسعُ الفجواتُ، وتتفككُ المجتمعاتُ، فشتَّانَ بينَ مجتمعٍ تسودُ في أرجائِهِ معاني المودةِ والرحمةِ، ومجتمعٍ تخلو نفوسُهُ من معاني الإنسانيةِ والأخوةِ الصادقةِ، مصداقًا لقولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

٦- أيها النبيلُ، اعلمْ أنَّ فقهَ صنائعِ المعروفِ ليسَ مجردَ مواعظَ تستحسنُها الأسماعُ ثم تنساها الأيامُ، وإنما هو منهجُ حياةٍ، وضرورةٌ اجتماعيةٌ، وعبادةٌ تتجددُ في كلِّ موقفٍ يحتاجُ فيهِ إنسانٌ إلى عونِ أخيهِ، وإنَّ من أروعِ صورِ الرحمةِ والتكافلِ العمليِّ ما يظهرُ جليًّا وقتَ النوازلِ والشدائدِ، وإنَّ ما شاهدناهُ من هبَّةِ أبناءِ وطنِنا لنجدةِ المصابينَ ومواساةِ المكلومينَ في حادثِ العياطِ الأليمِ لَيُجَسِّدُ معدنَ هذا الشعبِ الأصيلِ، ويبرهنُ على أنَّ قيمَ المروءةِ والإغاثةِ ما زالتْ حيةً في النفوسِ، فهذهِ المواقفُ الإنسانيةُ المشرفةُ التي يهرعُ فيها المواطنونَ للتبرعِ بالدمِ، وتقديمِ الدعمِ النفسيِّ والماديِّ، وفتحِ البيوتِ والقلوبِ لاحتواءِ المصابينَ وأسرِهم، لهيَ الدليلُ القاطعُ على أنَّ روحَ أبناءِ الوطنِ بخيرٍ، وأنَّ قيمَ المروءةِ المتأصلةَ في وجدانِ هذا الشعبِ تتجددُ بصدقٍ وإخلاصٍ كلما استدعى الواجبُ الوطنيُّ والإنسانيُّ ذلكَ، ليبقى هذا التلاحمُ رمزًا للشموخِ الإنسانيِّ والتكاتفِ المجتمعيِّ الفريدِ، وتطبيقًا عمليًّا لقولِ النبيِّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

اللهمَّ اغفرْ لشهداءِ حادثِ العياطِ ولجميعِ موتى المسلمينَ، وارحمْهم بواسعِ رحمتِكَ، وأسكنْهم فسيحَ جناتِكَ، واحفظْ وطنَنا مصرَ وسائرَ بلادِ العالمينَ من كلِّ مكروهٍ وسوءٍ.